الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

الموت

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الحي القيوم، الباقي وغيره لا يدوم، رفع السماء مزينة بالنجوم، وألقى في الأرض جبال كالتخوم، وبنى بحكمته هذه الجسوم، ثم أماتها ومحى الرسوم، الحمد لله الذي لا يقدر أحدا قدره، خلق الآدمي وأحصى عمره، ثم أراه قبل رحيله عن الدنيا قبره، ثم يسأله عن الكلمة والنظرة، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، والنبي الحليم، خاتم المرسلين، خليل رب العالمين، رؤوف رحيم، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الجمع والدين،

عباد الله تسيطر على حياة الناس غفلة مستحكمة، ومادية طاغية، وشهوة مؤثرة، ودنيا مؤثرة، حتى أخذت الناس عن الآخرة، وهي دار القرار، ولكن النفوس تحب العاجل، وتركن إلى اللذيذ من الشهوات، وينسى الإنسان أحيانا، مصيره المحتوم وأجله المكتوب.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ الغفلة تسيطر على حياة الناس، وأعظم الحوادث عند الناس، تلك الأحداث التي ترتبط بمعاشهم وأرزاقهم، كخروج النفط أو اكتشاف الذهب في منطقة أو كل شيء يرتبط بحياتهم العاجلة كالانتخابات والتهيؤ والاستعداد وإنفاق الأموال في سبيل ذلك كله مع أن الإنسان عمره قصير وحياته معدودة وأيامه في الدنيا محدودة وهو كل يوم في مرحلة من المراحل وبكل نفس ويوم وشهر ينتقل إلى مرحلة من المراحل.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ كل يوم أنت تمضي وأيامك تتصرم ولياليك وأنفاسك تخرج كل يوم أنت تدنو من آخرتك، ولو سألنا الناس ماذا أعدوا لآخرتهم لم تجد إجابة مسددة من أحد إلا من بعض الموفقين، جاء في ترجمة بعض السلف لو قيل له إن ملك الموت يريد أن يدخل عليك بالباب لما استطاع أن يزيد في عمله، لأنه متهيئ ومستعد في كل يوم وفي كل لحظة استعداد من سيلقى الله سبحانه وتعالى.

وما بين لقائك لله وما بين الآخرة وما بين حياتك الصاخبة التي تعيشها فضائيات انفجارات اكتشافات مخترعات ما بين كل هذا الدوي والصخب، وما بينك وبين الله خروج هذه الروح التي تعمر جسدك، وقد يكون ذلك بحادث سيارة، وقد يكون ذلك في طائرة، وقد يكون ذلك في قطار وقد يكون ذلك على الأرض وقد يكون ذلك بقنبلة تنفجر أمامك، تتعدد الأسباب والحقيقة واحدة.

الحقيقة التي لا مراء فيها هي أثبت حقيقة في الوجود، بل هي مقدمة على الحياة، الحقيقة الأساسية التي ينبغي ألا نغفل عنها هي الموت وقدم الله الموت على الحياة لأنه الترتيب الموضوعي والمنطقي، قبل أن تكون حياة كان العدم وجاء الناس من العدم، والعدم هو الموت، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ الموت مقدم على الحياة لأن الموت يعطي الحياة قيمة، تخيل لو كانت هذه الدنيا بغير موت لتكدس الناس فوقها، ولما اتقى أحد ربه ولكن الله يميت الناس ويبعثهم ليقضي بينهم الموت فيه عدل، الموت ضرورة لتستمر الحياة مستقيمة ولولا الموت لطغى الإنسان إنه الآن الموت يقهره وهو في طغيان مستمر وفي غرور دائم والله عز وجل يقهر العباد بالموت.

الموت حقيقة ولكن بيننا وبينها حجب من الغيب، متى نموت؟ وأين نموت؟ وكيف سنموت؟ متى نموت؟ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ وأين سنموت؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وكيف سنموت؟ تزود، فإنك لا تدري إذا جن عليك الليل هل ستعيش إلى الفجر؟

الموت سر من الأسرار الإلهية العجيبة البديعة، كيف ذاك؟ حجب الله الموت ميقاته ومكانه وطريقته، عن الناس جميعا فترى العجوز يحيي والشاب يموت ترى الفقير يحيي والغني الذي يملك المال ويملك الدواء يموت ترى الطبيب يموت ترى الرسل والأنبياء يموتون، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ

الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ وفي الموت قهر الربوبية للعباد، قهر عجيب.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قهر الربوبية، وقد أراكم فعله قال تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ وقد أراكم الموت في نومكم ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ * ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو القاهر فوق عباده، قهر الله بالموت الملوك، والقياصرة والجبابرة والأكاسرة والسلاطين، والأطباء والفلاسفة والأنبياء والرسل والخلق جميعا، وهذا دال على أن هذا الكون تحت سيطرته وتحت سلطانه وتحت قضائه وتحت حكمه ولا يخرج من حكمه ولا يفلت من قبضته أحد، الموت فيه قهر الربوبية وفيه عجز البشر.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مصدقين ﴿تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ من يرقيه، الرقية العزيمة الشفاء الدواء، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾

والتفت الساق بالساق جاءت وأقبلت أولى مراحل الآخرة، والتفت الساق بالساق داخل الكفن لما ربطت الساق إلى الساق، والتفت الساق لما اعتصره الألم واشتد عليه الكرب ونزل به النزع عندها لم يستطع أن يتحرك، فالتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق.

قضاء قضاه الله على العباد، الروح سكنت الأجساد، والأجساد ألفت الأرواح، والحياة حلوة والبقاء لذيذ طعمه، والغريق يتشبث بالقشة، كل يريد أن يبقى، ولكن الله يقهر العباد قهرا بالموت، لا ييأس أحد من الحياة، ولكن الله ينزعهم ويأخذهم من الحياة قهرا.

كل الناس يموتوا والناس يجوا يقولوا الله يرحمه، وكان معانا والمرحوم وهكذا، حتى الرؤساء الرئيس الأسبق فلان الفلاني، ماتوا جميعا وأفضوا إلى ربهم، الموت عجيب، سر من الأسرار الإلهية، تفرد الله به وحده، أن يقتل العباد وأن يقهرهم، قهر الربوبية وتفرد الله وحده بالبقاء.

طائرة تحترق، فيخرج منها طفل رضيع، الوحيد الذي لم يفكر في النجاة، الوحيد الذي لم يحاول الهرب، الوحيد الذي لم يبحث عن طوق نجاة، الوحيد الذي بغير طموح ومشاريع، وبغير أهداف وآمال عريضة، الوحيد هو الذي خرج، ولو فتحت لكم المجال ستحكون عن قصص عجيبة، في الأيام الفائتة رجل سقط من الطابق رقم مئة ولم يمت، تناقلته وكالات الأنباء ووسائل الإعلام المقروءة وعلى شبكة الإنترنت أنه سقط من الطابق رقم مئة ولم يمت ولم يجدوا لذلك تفسيرا، وتفسيرنا البسيط لم تنتهي أيامه في الدنيا بعد، هذا تفسير المؤمنين، في غاية البساطة الكون تحت الهيمنة، والكون تحت السيطرة.

ولذلك حقيقة أن الناس يموتون لا يختلف حولها اثنان، المؤمن والكافر والمسلم والملحد والبر والفاجر كل الناس من العقلاء يعلمون أن لحياتهم نهاية، ولكن الفرق بين المؤمنين والكافرين نهايتنا بداية حياة جديدة، تسمى بعالم البرزخ، وتسمى بعالم القبر وتسمى بعالم الآخرة، ببدايات الآخرة، ولذلك كان سلفنا يعرفون هذه المسألة، أيها الأحبة، الموت قريب، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ بعض الناس حتى لا يريد أن يسمع أخبار الموت، أو يسمع هذه الحقيقة.

قال الحسن البصري رحمه الله فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب بها فرحا، أما عرفوا هذه الحقيقة؟ كل الناس يعلمون أن هنالك موت ولكن ماذا بعد الموت؟

هؤلاء الذين آتاهم الله فهما وفقها، في حقائق الأمور، عظماء في فراش الموت، أبو بكر الصديق اشتد به المرض، في آخر أيامه، فجاءه الصحابة وقالوا يا أبا بكر يا أبا بكر مما تشتكي؟ ما هو مرضك؟ ما هي شكواك؟ قال أشتكي ذنوبي مرضي ذنوبي؟ قيل هلا دعونا لك الطبيب، قال الطبيب رآني، قال وماذا قال؟ قال إني فعال لما أريد.

عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه كان يقول لأبنائه وددت أن عاقلا ينزل به الموت فيصفه ما بال الناس من الشجعان والعقلاء والعلماء والفصحاء والبلغاء تنزل المنية فتسكن الألسنة وتخرس الأفواه، لماذا لا يتكلمون؟ فلما نزل به الموت قال له ابنه عبد الله ابن عمرو ابن العاص يا أبي، كنت تتمنى عاقلا يصف لك الموت وما أراك إلا في الموت، صفه لنا، قال يا بني إن الذي نزل بي لا يوصف، كأن جبال رضوى، جبال عظيمة في الجزيرة فوق صدري، إني أتنفس في ثقب الإبرة، أي والله، الزول اللي عنده أزمة وضيق نفس، بتزعزع زعزعة شديدة، لحد ما ياخذ له بخة بختين أو يودوه يركبوا له أكسجين صناعي، تخيل هذه مقدمة لا تساوي شيء بالنسبة للأجل الذي سينزل، وهنالك ملائكة ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي

وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ وكأن جسدي حشي بشوك السلم، أي بني احملني إلى المسجد، حمل عمرو بن العاص الصحابي الجليل رضي الله عنه إلى المسجد فرقد فيه وقال اللهم أمرتني فعصيت وآمنتني فخنت ونهيتني فارتكبت لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولكنني مذنب مستغفر، لا مصر ولا مستكبر، وفاضت روحه رضي الله عنه وبعد هذا يأتي من يتكلم ويطعن في عمرو ابن العاص، وقد مات هذه الميتة.

عظماء على فراش الموت، مات بلال، وهو على فراش الموت كان أحيانا يغمى عليه ثم يفيق، فيسمع زوجته تبكي وتقول وكرباه يقول يا طرباه، عما قليل ألقى الأحبة محمدا وصحبه، على فراش الموت يموت بعض الناس مهللا ومكبرا، وبعض الناس ساجدا، وبعض الناس راكعا ومصليا، وبعض الناس يقضي ديونه، ويصل أرحامه، ويعفي الناس ويرجع فيرقد فلا يقوم، كأنهم يختارون لأنفسهم الميتة، ولكنه إلهام وتوفيق، وسداد ورشاد، أسأل الله جل وعلا أن يوفقنا لما يحبه ويرضى وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى، وأن يبصرنا وأن يفقهنا، وأن لا يجعلنا من المتعلقين بزخارف الدنيا وزينتها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أعظم ما في الموت ليس فراق الأحبة، ودموعهم الباكية وقلوبهم المنفطرة، أعظم ما في الموت ليست الضجة الإعلامية، التي تصاحب الميت، فإن كان من المشاهير عرفه الناس وإن كان من المجاهيل المغمورين لم يعرفه أحد، أعظم ما في الموت أنك ستلقى الله، أعظم ما في الموت أنك ستلقى الله.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ جميع آيات الموت فيها إرجاع الناس إلى الله، ويدهمهم الموت وهم في غفلة، محملون بآثام، فيها أقوال، ونظرات وأفعال وكلام وتضييع وتهاون، كل ذلك تلقى الله به، الموت حقيقة مهمة.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ لا يتذكر البداية ولا النهاية، همه الحياة التي يعيش فيها ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ إنها البداية، ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ذكره بمحطتين أساسيتين، أعظم محطات للإنسان ميلاده ووفاته، ولذلك قال عيسى عليه السلام ﴿السَّلَامُ عَلَيَّ

يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ذكر أهم ثلاث محطات في حياته، والناس لا يعرفون، ولا يتذكرون كيف خرجوا وبدؤوا، ولا يريدون أن يذكروا أنفسهم، كيف انتهوا؟ يريدون ما بين ذلك ولكن تظل البداية حقيقة، والنهاية حقيقة محتومة.

التعليق القرآني ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ في القبر ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ بعد ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أمره الله بفرائضه وشرائعه فلم يقضها هذا معنى الآية، بالرغم من هذه الحقائق الثابتة فإن الإنسان يحاول أن يقفز وأن يتجاوز هذه الحقائق، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ دفنا إخوة لنا بأيدينا ونسينا، دفنا أعزائنا وأحبائنا وأصدقائنا، بل قد يكون فيكم من دفن والده أو والدته، دفناهم بأيدينا ونسينا، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾

لو عشت ألف سنة كما تريد أنت وليس كما تحملك الحياة حملا، وتكسرك الأوضاع والأقدار قسرا، إنما كما أنت هذه الألف عام لا تساوي الليلة الأولى وأنت في أحضان التراب، وفي طبقات الأرض وفي باطن الثرى.

اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين جميعا يا رب العالمين، اللهم ارحم إخوة لنا كانوا يصلون معنا في هذا المسجد آباء وأعماما وإخوانا، اللهم جميعا بدون استثناء، نحن قد ننساهم وقد لا نحصيهم أنت تحصيهم وتعلمهم، اللهم ارحمهم جميعا يا رب العالمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/الموت/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com